الأستاذ : د/ عبد السلام صحراوي.

المقياس: مدخل إلى الآداب العالمية.

السنة الثانية ليسانس .

الشعبة : دراسات أدبية ولغوية.

الأفواج: 03 – 11- 14.

تطبيق رقم 05.

ليون نيكولايفتش تولستويْ

(1828 - 1910م)

هو ليون نيكولايفتش تولستوي (1828- 1910م) الروائي والفيلسوف الروسي الزاهد ، صاحب مدرسة خاصة في الأدب عامة والقصة والرواية والفلسفة خاصة . وهو من عمالقة الروائيين الروس ومن أعمدة الأدب الروسي في القرن التاسع عشر. وهو إبن عائلة من النبلاء الروس ؛ كانت هذه العائلة من ملاك الأراضي الواسعة والمزارع الكبيرة . وهي من الأسر الإقطاعية لذلك الزمان. وكان أبوه يحمل لقب " الكونت" . كما كانت أمّه من طبقة الأمراء ، ممّا يدلّ على أنَّ تولستويْ ينتمي إلى طبقة اجتماعية عالية المستوى ، تأتي بعد الطبقة أو العائلة المالكة ..مباشرةً.

وُلِدَ تولستويْ في 28 من أغسطس (أوت) سنة 1828م في ولاية " تُولَا" الروسية .وقضى مرحلة الصّبا في التعليم والفلاحة وممارسة حياة الترف ، ثمَّ التحق بالجيش.. وقام بجولات إلى دول أوروبا ؛ فسافر إلى ألمانيا وفرنسا وسويسرا وإيطاليا ..وقد استفاد كثيرًا من تلك الرحلات . وكانت حياة " تولستوي " حافلة بالصور والألوان الشائقة مثل قصصه ورواياته تمامًا.. لقد وُلد في قصرٍ مكوّن من اثنتين وأربعين غرفة ، تحوطه أسباب الترف البالغ والثراء العريض والفاحش المأثورين عن الطبقة الأرستقراطية في روسيا القيصرية . . وكان " تولستوي" في شبابه مزهوًا بجاهه ، يمشي متأنِّقًا ، وينفق الكثير من المال في حوانيت الخياطين في موسكو.. وعاش في شبابه حياةً وصفها هو نفسه في اعترافاته بأنّها " معيشة قذرة وشرّيرة" ! ؛ كان يشرب الخمر، ويقامر، ويرتكبُ كلّ الموبقات..

غير أنَّ تولستويْ يعرف تحوّلا كبيرًا في مرحلة لاحقة من حياته؛ لقد تنازل عن جميع أملاكه وضيّعه ومزارعه ومتاعه الدنيوي ، إيمانًا منه بمُثله العليا التي نادى بها .. ثمّ مات وهو لا يملك شيئًا في محطة للسكة الحديدية في كشك صغيرٍ مقفرٍ، لا يحيط به سوى عدد من الفلاحين.. لقد حدث تحوّلٌ رهيب في حياة تولستوي ؛ فمن الترف والزهو والبذخ ، إلى التأمّل والإصلاح والزهد والقداسة. فقصة حياة تولستويْ قصة غريبة ؛ قصة رجلٍ بلغ توقير مواطنيه له أنّه عاش العشرين عامًا الأخيرة من حياته هدفًا لسيلٍ من المعجبين الذين كانوا يحجُّون" إلى بيته أملًا في أنْ يتزوّدوا بنظرة عابرة إلى وجهه، ويسمعوا نبرات صوته، ويلمسوا أهداب ثوبه..

وتذكر بعض المراجع أنّ عددًا من أصدقائه نزلوا في داره وعاشوا معه تحت سقفٍ واحدٍ أعوامًا كاملة ، كيْ يسجّلوا عنه كلَّ كلمة ينطق بها وكلّ فكرة يتحدث عنها في أيّ موضوع أو حديث عابر، ويدوّنوا بكلّ دقة كلَّ التفاصيل المتصلة بحياته وفكره وأدبه..وقد جُمعتْ هذه السجلات فيما بعد وطُبعتْ في مجلّدات..

لقد كان " تولستويْ " من أكبر المصلحين الاجتماعيين في التاريخ، وكان داعية سلام ومفكّر كبير وفيلسوف . استمدّ لنفسه فلسفة خاصة كانتْ تقضي بأنْ لا يحاول أن يكون أحكم وأكبر ممّا تقتضي الحياة والطبيعة. وقد تجلّى منهجه في رواية " الحرب والسلام " التي نُشرتْ سنة 1869م. وراح يدعو للبرّ بالفلاحين والتجرّد من الثروة الدنيوية والعيش ببساطة ، وهو الأمر الذي أثار عليه غضب السلطات آنذاك..

كما تسبّبت فلسفة " تولستويْ " في خلاف وشقاقٍ بينه وبين أسرته وخاصة زوجته ؛ لقد كانت زوجتُه تحبُّ الترف والمال والغنى الفاحش ، وهو يحتقرُهُ . كانت تتحرّق شوقًا إلى المجد والنجاح الاجتماعي والوجاهة ، في حين كان " تولستويْ " لا يبالي بهذه الأمور .. كانت زوجتُهُ تسعى دائمًا إلى المال والثراء .. وهو يعتبرُ اقتناء المال والممتلكات الخاصّة خطيئة .. هي تؤمن بالحكم الذي يستند إلى القوة و الجبروت ، وهو يؤمن بالحكم الذي يستند إلى المحبَّة..

بالإضافة إلى ذلك ، فقد كانت لدى زوجة " تولستويْ " غيرة نارية تأكلُ قلبها .. هذه الغيرة دفعتها إلى كُره أصدقائه ، وطرد ابنته- وابنتها في الوقت نفسه- من البيت ! وعاشت هذه الزوجة (الحمقاء) سنوات تثير أعصاب " تولستويْ " بنكدها وصياحها وتأنيبها ممّا حوّل الحياة الزوجية لهذا الكاتب إلى جحيم .. وكان أكثر ما أثار حقد هذه الزوجة على زوجها أنّه أعطى الشعب الروسي كامل الحق والحرية في نشر وطباعة مؤلفاته دون مقابل ودون أنْ يحتفظ لنفسه بحقٍّ الملكية.

ومن المفارقات العجيبة ، أنَّ زوجة " تولستويْ " كانت تركع أحيانًا تحت قدميه (عند قدميه) – بعد مُضي نصف قرن على زواجهما – وتتوسّل إليه أنْ يُعيد على مسمعيهما عبارات الحبّ القوية الملتهبة التي كتبها عنها في مفكّرته قبل ثمانٍ وأربعين سنة ، عندما كانا يتبادلان عبارات الحبّ الجنوني القديم.. وكان كلّما قرأ لها ذكريات تلك الأيام السعيدة التي مرّتْ إلى غير رجعة ، ينفرط كلاهما في البكاء بحرقةٍ ومرارة !

وفاضتْ تعاسةُ " تولستويْ " ، ولم يعُد يحتمل شقاءه الأسري ، فهجر البيت وزوجتَه في ليلة 21 أكتوبر سنة 1910م وهو في سنّ الثانية والثمانين ، في ليلة باردة ومظلمة .. فرّ من البيت دون أنْ يدري إلى أين هو ذاهب وأُصيبَ من جرّاء ذلك بالتهابٍ رئوي حاد ، قضى على حياته بعد أحد عشر يومًا . ولفظ أنفاسه في كشكٍ صغير في محطة مقفرة للسكة الحديدية، وليس حوله سوى ابنته وبعض أصدقائه من الفلاحين، وبعض مصوري الصحف العالمية.. هذا الذي كتب اثنتين من أعظم الروايات التي عرفها العالم والتي ستخلّد على مرّ التاريخ والعصور: « أنا كارنينا " و " الحرب والسلام " .. و " تولستويْ " اليوم هو أكثر شهرة في خارج روسيا من جميع القياصرة الذين حكموا تلك الأمبراطورية الدموية .. وقد كرّس حياته بعد ذلك لكتابة نشرات صغيرة يعظُ فيها بالسلام و المحبّة والقضاء على الفقر.. وكانت هذه النشرات تُطبع وتوزع مجانًا بالملايين..

يعدُّ " تولستويْ " فيلسوفًا أخلاقيًا اعتنق أفكار المقاومة السلمية النابذة للعنف ، وتبلور ذلك في كتابه " مملكة الرّب داخلك " وهو الكتاب الذي أثّر في مشاهير القرن العشرين مثل " المهاتما غاندي " و" مارتنْ لوثر كينغ " في جهادهما الذي اتسم بسياسة المقاومة السلمية النابذة للعنف ..

كما يعتبر كتاب " الحرب والسلام " من أشهر كتب " تولستويْ " ، تناول فيه مراحل الحياة المختلفة ، كما يصف الحوادث السياسية والعسكرية التي حدثت في أوروبا في الفترة ما بين 1805 و 1820م ، إلى جانب حديثه عن غزو نابليون لروسيا عام 1812م ، وكلّ ذلك في قالب روائي رائع جعل هذه الرواية من أهمّ ما كُتب في مجال الرواية في العالم كلّه ..

كما تُعدّ أيضا " أنا كارنينا " من أشهر كُتب " تولستويْ " ، وهي رواية تعالج قضايا اجتماعية وأخلاقية وفلسفية في شكل مأساة غرامية بطلتُها " أنا كارنينا " .

من كتب " تولستويْ " كتاب " ما الفن " وهو كتاب أوضح فيه أنّ الفنّ يجب أنْ يُوجّه إلى الناس جميعًا ويحمل رسالة أخلاقية ، وأنْ يعمل على تحسين أوضاعهم وأنْ يكون بسيطًا يخاطب كافة الناس..

كتاب " حكم النبي محمد " للفيلسوف تولستويْ – دراسة وتقديم وتعليق: د/ محمود الفجيري .. وهو كتاب يتحدّث عن أحد أعظم رواد الأدب الروسي (تولستويْ) وعلاقة هذا الفيلسوف و المفكر بالإسلام . كما يتحدّث الكتاب عن آراء الكثير من المفكرين الروس في الإسلام، وكذالك أحوال المسلمين في روسيا. وفي الكتاب نص مراسلات الكاتب العالمي "تولستويْ والإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية في ذلك الوقت.. ومن أقوال " تولستويْ " :

" لا طالما كان موقف محمد أرقى من الفكر المسيحي . فهو لا يعتبر الله بشرًا ولا يساوي نفسه مطلقًا مع الله . ولا يعبد المسلمون إلّا الله وما محمد إلّا رسول الله .لا غموض في الإسلام ولا أسرار.. "

من أشهر مؤلفات " تولستويْ " Tolstoi :

Anna Karénine 1866 . Guerre et Paix 1869 .

Qu est ce que l’art ? 1897.

Ma confession 1882…